

مفهوم (الثقافة) لغة واصطلاحاً

قالوا : ثقف الشيء ، وثقف الرجل ثقافة ، أي صار حاذقاً^(١) والثقافة ، العمل بالسيف^(٢) والثقاف خشبة تسوى بها الرماح^(٣) وثقف ثقفاً ، أي صار فطناً^(٤) فهو يقف بازاء (Acculturation) . وثقافة (culture) وتعني (كل ما فيه استنارة للذهن ، وتهذيب للذوق ، وتنمية لمملكة النقد ، والحكم لدى الفرد في المجتمع^(٥)) ولا يخرج عن هذه المعاني جميع من كتب في مادة ثقافة ، سوى انه اذا اخذنا واحداً من معاني اللفظ الاصيله وهو تثقيف الرمح ، تسويته بألة الثقاف يمكن ربطه ولو ربطا واهيا بعملية تكوين ثقافة امة خاصة من تجاربها وظروف بيئتها^(٦) (وليس في معاني لفظ ثقف ما يعيق مع المعنى الذي نريده نحن اليوم من كلمة ثقافة . بل نحن لا نستعمل ثقّف او ثقّف . بل نقول نتثقّف ، بمعنى أطلع اطلاقاً واسعاً في شتى فروع المعرفة ، حتى اصبح رجلاً مثقفاً^(٧))

وفي ثلاثينات هذا القرن وما بعدها أستعمل لفظ (ثقافة) في المعنى الذي كان القدماء يستعملون فيه لفظ الأدب، الذي يعني الأخذ من كل شيء بطرف كما يقول الجاحظ: أي توسيع الإنسان دلالة لفظ الأدب، الذي يعني الأخذ من كل شيء بطرف كما يقول الجاحظ: أي توسيع الانسان مدى معارفه ، وفي العصر نفسه كانوا في أوربا يقولون انه لا يتم علم المرء الا اذا علم شيئاً من كل شيء وكل شيء

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ج١ ، باب حرف الثاء ، ص ٦٨٤-٦٨٥ .

(٢) لويس معلوف : المجز في اللغة ، انتشارات فرحان ، ط٣٥ ، (طهران) ، ص ٧١ .

(٣) محمد بن بكر الرازي : مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي (بيروت ١٩٨١) ، ص ٨٤ .

(٤) عبدالله العلايلي : مختار الصحاح في اللغة والعلوم ، ط٤ دار الحضارة (بيروت ١٩٧٤) ، ص

١٥٨ .

(٥) المصدر السابق نفسه ١٥٨

(٦) د. حسين مؤنس : الحضارة دراسة في احوال وعوامل قيامها وتطورها ، سلسلة عالم المعرفة ،

العدد ١ (الكويت ، ١٩٧٨) ، ص ٣٤٠ .

(٧) المصدر السابق نفسه ٣٤٠

من بعض الشيء^(١) (To know something a bout everything and
(everything about something) .

مفهوم الثقافة (اصطلاحاً)

يقال ان كلمة (Culture) ، وهي واحدة من كلمتين أو ثلاث يكتنفها التعقيد فلا يفوقها سوى كلمة (Nature) الطبيعة ، التي تعد الاعقد ، بالرغم من شيوع النظر الى الطبيعة على انها مشتقة من الثقافة^(٢) هذا التعقيد دفع دارسي الانثروبولوجيا* وعلم الاجتماع الثقافي الى دراسة مفاهيم الثقافة التي تتحكم بها ، وحتى مع استخدام كلمة (culture) في الكتابات السيسولوجية والانتروبولوجية، (لم يفلح العلماء حتى الان في الوصول الى تعريف واحد يتفقون عليه، رغم ما كتب عنها)^(٣).

ويرى أحد الباحثين ان الثقافة أصبحت علماً قائماً بذاته ، تساهم فيه فروع علمية مختلفة^(٤) ، فيما تعددت تعاريفها ومعانيها ، حتى وصلت عام ١٩٥٢ الى مائة وواحد وستين تعريفاً لكلمة ثقافة كما يوردها عالم الانسان الفريد كروبر ((ALFred kroeber))^(٤) ،

ويظل التطور في مفهوم (culture) نتيجة منطقية للجذر اللاتيني له ، اذ عبر عن طبيعة الانسان الاوربي ودوره في العصر الحديث ، الامر الذي ينظر اليه

(١)المصدر السابق نفسه ، ص ٣٤١ .

(٢) تيري ايغلتنون : الثقافة في طبعاتها المختلفة ، ترجمة ثائر الاديبي ، مجلة الكرمل ، العدد (٢) (بيروت ، ٢٠٠٠) ، ص ٩ .

(*) الانثروبولوجيا : تعريف لاصطلاح الانكليزي (Anthropolgy) والاصطلاح الفرنسي (LAnthropology) ، وكلاهما يرجع تلميح بين الكلمتين (Anthropolgy) ومعناها الانسان ، و (logia) ومعناها علم او دراسة للمزيد انظر د. عاطف وصفي الانتروبولوجيا الاجتماعية . ط ٣ ، (الكويت ، ١٩٨٥) ص ٦ .

(٣) اوسكار وايلد : الرمز والاسطورة والبناء الاجتماعي : مجلة عالم الفكر ، العدد (٣) ، (الكويت ، ١٩٨٥) ص ٦ .

(٤) د، نبيل على : الثقافة العربية وعصر المعلومات سلسلة عالم المعرفة ، العدد (٢٧٦) (الكويت ، ٢٠٠١) ، ص ١٣٣ .

تيري ايغلتون على ان هذا المفهوم ، هو تولي النمو الطبيعي بالرعاية والعناية ، (اننا نستمد من العمل والزراعة ومن المحاصيل والفلاحة تلك الكلمة التي نشير بها الى ارضن النشاطات البشرية وارقاها فيما تدل الخارطة الدلالية على ما تكشف من ارتياح البشرية وتحولها من الريفي الى المدني ، ومن تربية الخنازير الى بيكاسو ومن فلاحة الارض الى انشطار الذرة فساكن المدن هم المثقفون ، اما اولئك الذين يحرثون الارض ويهذبونها فهم اقل قدرة على حراثة انفسهم وتهذيبها ، وذلك لان الزراعة لا تترك شاغراً للثقافة^(١)

وعبر تاريخ طويل ينقل اكثر الذين كتبوا عن الثقافة بان تايلر* (Tylor) هو أول من كتب وعرف الثقافة ، بيد أن الباحث قد وجد في كتابات دارسي الانثروبولوجيات ، ان تايلور (Tylor) يتوقف عند مصطلح الحضارة في كتاب نشر له عام (١٩٧١) بانها ((ذلك الكم المعقد الذي يحتوي على المعلومات والمعتقدات والفنون والقيم والقوانين والعادات والإمكانات ، أو عادات يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع)^(٢) .

وعلى اختلاف من كتب في حقل الانثروبولوجيا ، أو في العلوم الإنسانية ، فأنهم يؤسسون للأخير بأنه قد عرف الثقافة ، ولم يعرف الحضارة ، بالرغم من الجدل القائم . مع سياسة عدم تقبل المفهومين في الاربعينيات من هذا القرن ، فمثلا يقابل الانكليز المفهومين بالرفض ، فان ألمانيا حاولت التفرقة حيث بدأ بتطبيق لفظة حضارة على الأجهزة الفنية ، فيما أطلقوا كلمة ثقافة على الأجهزة غير المادية في

(١) تيري ايغلتون ، مصدر سبق ذكره.ص١٠

* تايلر السير ادورد برنت (Tylor) (١٨٣٢-١٩١٧) ، انثروبولوجي بريطاني ، وأستاذ للانثروبولوجيا في جامعة اكسفورد ، ساهم في دراسة الحضارة ، كان تطوري الاتجاه ، قال بـ (النظرية الحياتية) وأدخل مفهوم (البقايا الحضارية) ، ساهم في دراسة التنظيم الاجتماعي ، واعظم انجازته ، صياغة مصطلحات انثروبولوجية هامة ، منها (بنات الخالة والعمة) و (التزاوج الخارجي المحلي) و (المكتبة) ، للمزيد انظر لويس مير ، مقدمة في الانثروبولوجيات الاجتماعية ، ترجمة شاكر مصطفى سليم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٣) ص ٣٥٤ .

(٢) لويس مير و المصدر السابق ، ص ١٧ .

المجتمع كالفن والدين والفلسفة^(١). ألا ان الصفة الغالبة قد تعاملت مع هذين المفهومين ، بأنها وجهان لعملة واحدة ، مع التقديم والتأخير في مفردات تعريف تايلر ، وعلى قول أحد الدارسين (انه ليس هناك كلمة في الوقت الحاضر يصعب تعريفها كلمة الحضارة ، واني لنا أن نعرف بدقة كلمة وفكرة هما في حالة صيرورة (Derenir) أبدية ، فالحضارة، هي مجموعة طرائق وتقليد ، ومواهب أخلاقية ودينية، وقواعد اجتماعية، وفلسفات وأثار فنية، ومناهج ومواد علمية، وأنواع المعرفة

(٢)

يقول شكسبير ان الثقافة بوصفها الوسطة التي تعيد بها الطبيعة صياغة ذاتها على نحو متواصل دون إنقطاع^(٣) وتبرز هنا الحاجة الى معرفة العلاقة بين الانسان والثقافة التي يتعرض اليها دارسوا الانثروبولوجيا الثقافية (Culture Athropology) ، التي تعنى بدراسة الإنسان، أصله ونشأته وتطوره ودراسة المجتمعات والثقافات المتعددة لبني البشر^(٤) ومع تطور العلاقة بين الثقافة والمجتمع والحياة الاجتماعية، فأن هناك من يرى اخراج الثقافة وعناصرها المختلفة ، باعتبارها خارج اهتماماتهم، حتى في المواضيع التي تبدو فيها أثار الثقافة واضحة^(٥) ومادامت الثقافة من صنع الانسان بصفته ظاهرة طبيعية، والإنسان هو عضو في المجتمع له ثقافة معينة، ويمارس سلوكا مع سلوك الافراد في الجماعة^(٦) وقد شاعت كلمة ثقافة (culture)، عند شيوع فكرة علم الانسان وتطور الانثروبولوجيا الطبيعية والحضارية والاجتماعية^(٧) وقليل من الانثروبولوجيين يطلقون على أنفسهم (حضاريين) ، ويجعلون اهتمامهم منصبا على الحضارة ، ومنهم من

(١) د. حميد سميسم : نظرية الرأي العام ومدخل ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد و ١٩٩٢) ص ١٠٥ .

(٢) جورج دو هاميل : ازمة حضارة ، مجلة المعرفة ، العدد (٣)، وزارة الثقافة الارشاد القومي ، (دمشق،بلاد) ص ٣٣ .

(٣) تيري ايقلتون ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٧

(٤) د.عاطف وصفي ،مصدر سبق ذكره ،ص ١٤ .

(٥) د.محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع ،نظريات وتطبيقات ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٦ .

(٦) د.عيسى الشماس : الانثروبولوجيا الثقافية ، مجلة المعرفة ، العدد (٤٩١) ، وزارة الثقافة (دمشق بلا)

(٧) لويس مير ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٣

يدرس المجتمع ، ويطلقون على أنفسهم (بالمثقفين) ^(١) وهناك ترابط وثيق بين الثقافة والمواقف الاجتماعية ، حتى انه ليصعب الفصل ما بين هو ثقافي ، وما هو اجتماعي ، بسبب ان الحاجات الانسانية ، التي تفسر تفسيراً اجتماعياً ، انما اتباعها يرشد الى عناصر الثقافة ^(٢) .

ويذهب اوسكار وايلد (Oscar Wilde) الى تأييد هذا الترابط بانه (اذا كانت محاولة فهم الرموز وتفسيرها يتطلب من وجهة النظر الاجتماعية الانثروبولوجية دراسة تحليل مقومات البناء الاجتماعي وعناصر الثقافة وتفاعلها مع نسق الرموز السائد ، ومادام المجتمع هو الذي يعطي الرموز معناها ، فان التفسير المنهجي لنسق الرموز يتوقف الى حد كبير على البحوث الامبيريقية ، وعلى مدى الاحاطة بمكونات الثقافة ^(٣) .

تنظر الموسوعة الثقافية العلمية الى موضوع الثقافة على انه (متعلمة ، أي تراث يكتسبه الناس من جيل لآخر عن طريق التعليم ، كما انها تراكمية وسهلة الفكر والمعرفة ، في المجال النظري والعملي ، وانها انسانية ، تخص الكائن الانساني الوحيد الذي يملك جهازا عصبيا راقيا وقدرات عقلية فريدة ، وأنها مستمرة يرثها أعضاء المجتمع من جيل الى جيل ، وهي متصلة بالماضي والحاضر وانها خاصة بالتنبؤ بالمستقبل ، وهي متغيرة ، تتكيف مع واقعها وتستجيب لحاجاتها ، وهي مثالية وواقعية ، ولكنها متغيرة ، والتغير لايمكن قياسه الا في مقابل العناصر التي تكون ثابتة نسبياً ، كما لايمكن قياس الثبات الا في مقابل تلك العناصر التي تتغير بسرعة أكبر) ^(٤) .

وكلمة ثقافة تدل اساسا على اتجاه النمو الطبيعي قبل القرن التاسع عشر ثم أصبح معناها عن طريق التماثل ، عملية تدريب ، وهذا الاستخدام الثاني ، قد تغير من تهذيب شيء ما ان اصبح اللفظ يعني شيئاً مستقلاً في حد ذاته ، وذلك أن

(١) المصدر السابق نفسه . ص ١٧ .

(٢) د. محمد عاطف غيث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٣ .

(٣) اوسكار وايلد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦ .

(٤) الموسوعة الثقافية العلمية : اعداد بهيجة اسماعيل بهبهاني ، (الكويت ١٩٩٧) ، ص ٢٦ .

أصبح معناها حالة أو عادة عقلية عامة ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة الكمال الانساني ثم اخذت معنى آخر ، فأصبحت الحالة العامة للتطور الفكري في مجتمع بأسره ثم معنى ثالث ، وهو الكيان العام للفنون ، وفي أواخر القرن التاسع عشر أصبحت تعني طريقة شاملة للحياة ، مادية وعقلية وروحية^(١) .

والسلوك الذي ينتقل عن طريق التعلم من جيل الى جيل يسمى ((الثقافة)) والانسان وحده هو الذي له ثقافة وان لم تكن له بهذا التعقيد الذي عليه الان ، من تعقيد وفق مايسميه اجبرن ونيمكوف الثقافة المادية (Material culture) . والثقافة اللامادية (immaterial culture) . وكلاهما ينتظمان حول اشباع الحاجات الرئيسية الامر الذي يعطي نظمه الاجتماعية التي هي جوهر الثقافة لتكون نمطا (pattern) يميز كل مجتمع على حدة^(٢)

ان التطور الذي طرأ على لفظة ثقافة ، هو سجل مهم ومتواصل ، من ردود الافعال لهذه التغيرات في حياتنا الاجتماعية والاقتصادية ، ويظهر ان هناك تنافسا بين من ينظر الى الثقافة على انها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز والأيدولوجيات، وغيرها من المنتجات العقلية ، وبين من ينظر اليها فيربطها بنمط الحياة الكلي لمجتمع ما ، والتي تربط بين أفرادهِ وتوجهات هؤلاء الافراد في حياتهم ، ولآجله استمدوا ثلاثة مفاهيم تمثل الثقافة بنظرهم وهي^(٣) :

اولا- التحيزات الثقافية

ثانيا- العلاقات الاجتماعية

ثالثا- انماط و اساليب الحياة

(١) رايموند وليامز : الثقافة والمجتمع (١٧٨٠-١٩٥٠) ، ترجمة وجيه سمعان ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد)

(٢) د. محمد عاطف غيث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٥-٦٦ .

(٣) نظرية الثقافة : تاليف مجموعة من الباحثين ، ترجمة على العبادي ، سلسلة عالم المعرفة : العدد (٣٢٢) ، (الكويت ١٩٩٧) ص ١٠ .

حيث تعتمد هذه المتغيرات الثلاثة على العلاقة المتبادلة والتساندية بين التحيزات الثقافية والعلاقات الاجتماعية ، والتي يتكون منها نمط الحياة الذي يرتبط بطابع الانحياز الثقافي ، ولذلك عدّ نمط الحياة بمثابة قناة الاتصال بين الفكر والسلوك (١) ويرى بعض علماء الاجتماع ان الثقافات تنقسم الى نوعين (٢)

النوع الاول - الثقافة الدينامكية ، او الثقافة المتغيرة ، وهي التي نجد فيها اكثر المتغيرات ، فهي ليست منعزلة عن الاحداث والتطورات و يشعر بها الفرد بحرية الرأي والفكر ، فهي ثقافة نامية متحررة ، متطورة و يبرز فيها التغير الاجتماعي .

النوع الثاني - الثقافة الراكدة ، فهي الثقافة التي لا يوجد فيها اتجاه والحماس فتغمر الاهتمامات حول مواضيع معينة ، تدفع الى الاتباعية ، دون ان يحرك دوافع التغيير ، فيقل التجريب و يظهر قبول الماضي والامتناع به .

ويذهب د .محمد القومي الشيباني ، الى ان اشهر التقسيمات واوسعها استعمالا ، هو التقسيم الثلاثي الذي ذهب اليه رالف نيلتون الى (٣) :

اولاً - العموميات
ثانياً - الخصوصيات
ثالثاً - البدائل

فأنه يقصد بعموميات الثقافة انها جميع الافكار والتصرفات والمشاعر والمعطيات والعادات والتقاليد والاستجابات العاطفية المختلفة المشتركة بين جميع الناس في مجتمع من المجتمعات وطرق التفكير التي يشترك فيها جميع افراد المجتمع واللغة التي يتكلمها الناس والانماط الاساسية للعلاقات الانسانية السائدة في مرحلة معينة بالنسبة لجميع الافراد (٤)

(١) المصدر السابق نفسه و ص ١١ .

(٢) د. عمر التومي الشيباني: التربية وتنمية المجتمع ، الدار العربية للكتاب (تونس ١٩٨٥)، ص ١٣ .

(٣) د. عمر التومي الشيباني ، مصدر سبق ذكره ص ٣٠ .

(٤) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٠ .

اما خصوصيات الثقافة ، فهي الظواهر التي لا يشارك فيها سوى أفراد من مجموعات اجتماعية معينة متميزة . كالأطباء والمهندسين والمحامين والمعلمين . ويقصد بالبدائل تلك لا تتدرج تحت العموميات ولا الخصوصيات وهي تتمثل في الاهتمامات ، و الأدوات التي تتغير باستمرار ، فبدائل الثقافة تتغير بسرعة ، وتحل محلها مظاهر أخرى ، سرعان ما تتغير بسبب ما تعرضت له سابقاتها من تغيير^(١) ويذهب القومي الشيباني ، الى ان البعض يقسم الثقافة حسب مستواها الفردي والجماعي ، فهي صفة عقلية في الشخص المتعلم على المستوى الفردي وتتمثل في تكوينه العقلي ، وفي استقامة تفكيره وفي اتساع افقه وحبه للعلم ، أما على المستوى الجماعي ، فأنها تشمل لغة المجتمع وقيمه وعاداته وتقاليده والمعارف والعلوم السائدة فيه والأفكار التي يعيش فيها كل عصر^(٢) وهناك من يقسمها حسب انتشارها الى اربعة مستويات^(٣)

الاول منها:- الثقافة المحلية، التي نجدها في المجتمعات الصغيرة داخل الوطن الواحد. مثل ثقافة سكان البادية، والقرى النائية، أو الفئات الاجتماعية.

الثاني- الثقافة الوطنية، التي توجد لدى سكان قطر واحد أو بلا معين، حتى مع اختلاف الثقافات الفرعية بينهم، فهناك بعض القيم ، والمؤسسات ، وأنماط السلوك التي تؤلف بينهم وتميزهم عن سكان البلدان الأخرى.

اما المستوى الثالث، فهو الثقافة الإقليمية ، التي تضم مجموعة من الأقطار، تجمع بينهما خصائص مشتركة، كما هو الحال بالنسبة للأقطار العربية.

وتقسم الثقافة على رأي احد الباحثين الى نوعين رئيسيين^(١):

(١) المصدر السابق نفسه ، وينظر كذلك الموسوعة الثقافية العلمية ، مصدر سبق ذكره ص ٢٦ ،

وينظر د. حميدة سميسم ، نظرية الرأي العام ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٣ .

(٢) د. عمر التومي الشيباني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦ .

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٢٦

(١) د. عمر التومي الشيباني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦ .

اولهما- الثقافة السياسية، التي تهتم بأمر الناس، بالذات فيما يرتبط بالحريات والرأي والتصويت أو كحرية ممارسة الطقوس المذهبية والدينية وتدرج تحت هذا النوع قسمان.

- ثقافة تدفع نحو التحرك والانطلاق والسعي الجاد لتغيير والاصلاح .
- ثقافة تشد نحو الارض وتكرس فيهم روح التبعية والخوف والتراجع والخلود نحو الراحة.

ثانيهما: الثقافة الاجتماعية التي تتلخص في الأعراف والتقاليد التي يبني عليها المجتمع حياته وبما يضمن سعادته ورفاهة في ظل قوانين يتمسك بها الجميع دون وصاية احد وهناك نوعان منها .

- ثقافة تدعو لتحكيم القيم والمثل النبيلة كالتعاون والترابط والمحبة.
- ثقافة تشد الناس نحو السلبية والتفكك والانعزال وزرع روح الهزيمة.